أعلام الجزائر من خلال التراث المغربي المخطوط أزهار البستان في طبقات الأعيان لابن عجينة أنموذج

أ/ رفيق خليفي

جامعة عباس لغرور- خنشلة

مقدمة

نظرا للتراث المخطوط الضخم الذي تزخر به الخزائن والمكتبات المغربية أمكن للعديد من علمائها وكتابها جمع شتات موضوعات عديدة في مصنفات شاملة تقرب مواد الوثائق التاريخية التي اشتغلوا عليها، كالنوازل ووثائق المستجدات العدلية والقضائية، ومسائل التوثيق والحبوس، والتراجم وغيرها.

والجدير بالذكر أن تلك المواد لم تكن حبيسة الفضاء الذي أنتجت فيه بل تعدته إلى فضاءات تفتقر في أحاين كثير إليها.

ومن ذلك مخطوط أزهار البستان في طبقات الأعيان لمؤلفه أحمد بن محمد بن المهدي بن عجينة الحسني التطواني المغربي، الذي يضم عشرات التراجم المفردة لعلماء الجزائر، استقاها من مصنفات سابقة. مما دفعنا إلى إعادة استدعاء تاريخي لتلك التراجم وترتيبها ترتيبا كرونولوجيا ودراسة مضامينها ومضمراتها؛ لرسم عالم علماء الجزائر في تصور الآخر/الغير، بما أمكن من

أدوات الحفر المعرفية الابستمولوجية الخاصة بالمصنفات البيوغرافية.

ترجمته المؤلف

مؤلف المخطوط هو أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن الحسين الحجوجي بن محمد بن عجيبة بن عبد الله بن عجيبة، من أهل تطوان، يرفع نسبه إلى إدريس الأكبر، أي أنه من الأشراف الحسنيين، ينحدر من أسرة نزحت من الأندلس في القرن 9هـ/15م اشتهرت بالتصوف والكرامات وجده الحسين الحجوجي صاحب الخلوة التي بمدشر أجلا (بالقرب من طنجة على الساحل) تحولت بعد موته إلى مزار.

ولد سنة 1160 أو بعدها بتطوان، قرأ القرآن أولا على جده المهدي وعرضه عليه، وقرأ الأجرومية وألفية ابن مالك ومتن ابن عاشر والشاطبية وغيرها في صغره، إلى أن وصل سن التاسع عشر رحل إلى القصر الكبير فأخذ عن الشيخ محمد السوسي السملالي وأخذ بغيره عن أحمد الرشا وعبد الكريم بن قريش والتاودي بن سودة الفقه والحديث والتفسير والعقائد والمنطق واللغة. فبرع في التفسير والتصوف وشارك في اللغة والفقه وغيرها، له العديد من المصنفات طبع منها: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، وشرح صلاة القطب بن مشيش، ومعراج التشوف إلى حقائق التصوف، وكشف النقاب عن سر لب الألباب، والفتوحات الإلهية في شرح

المباحث الأصلية، وإيقاظ الهمم في شرح الحكم، والفتوحات القدوسية في شرح المقدمة الآجرومية، [1] وشرح قصيدة الهمزية [2] والفهرسة وديوانه واللطائف الإيمانية الملكوتية والحقائق الإحسانية الجبروتية (رسائله)، أما المخطوطة منها: فشرح القصيدة المنفرجة لابن النحوي القلعي، وتبصرة الطائفة الزرقاوية، وأزهار البستان موضوع بحثنا وغيرها.

توفي يوم الأربعاء 7 شوال عام 1224 / 15 نوفمبر 1809م. بالطاعون.[3]

التعريف بالمخطوط.

أزهار البستان في طبقات الأعيان. هو واحد من مئات المخطوطات التراجمية المغاربية التي لم طبع لحد الآن.

فللمخطوط عدة نسخ إحداها محفوظة في الخزانة الزيدانية بمكناس[4] وأخرى مخطوطة في الخزانة العامة بالرباط رقم (286 ك) ومنها مصورة في معهد المخطوطات العربية بالقاهرة رقم (1352 تاريخ) ونسخة بالخزانة الحسنية الملكية بالرباط، رقم 417، وهي المعتمدة في هذا البحث، نوى مؤلفه أين يجعله في جزئين، لكنه لم يكمله، لانشغاله عنه بغيره من التآليف، ثم إن أجله حال دون إتمامه.

أما الجزء الأول الموجود فيضم 282 ورقة، به بعض السقط في وسطه كالأوراق رقم: 43، 44، 55، 64، 65، 76، 77، 80، 81، 97، حيث وضع ناسخه نظام التعقيبة في أوراقه، فيسهل معرفة النقص من خلاله ومن خلال بتر السياق والانتقال الفجائي في مادة التراجم، وبه بعض الأوراق مكررة الترقيم كالأوراق رقم 131، 132، 133، 134، 136، 139.

كتب المخطوط بخط مغربي مقروء في غالبه، وبه طرر أحيانا تحمل ترجمة كاملة تكون قد سقطت من المتن [5] أو تضيف تعليق أو إفادة جديدة، [6] ويظهر أن ناسخه من ذوي العلم بفنه. إذ لا توجد أخطاء إملائية أو لغوية كثيرة به، فقد نقل نسخته من نسخة المؤلف مباشرة حسب بعض القرائن. فقد وقف على بياض بمقدار سطرين، فقال معلقا: "هكذا البياض في الأصل بخط المؤلف رحمه الله". [7]

أما مسطرته فغير منضبطة فهي بين 26 سطرا و 19 سطرا. ومتوسط عدد الكلمات في السطر الواحد 12 كلمة. والنسخة غُفلٌ من اسم الناسخ وتاريخ النسخ.

يبدأ المخطوط بقول المؤلف: "نحمدك يا من لا تحيط بكنه حمده الحامدون ولا تصف كنه جماله الواصفون.." إلى أن يقول: "إن أولى ما أتحف به الطالب اللبيب وذو الأدب الأريب التعريف بحال الرجال وما خصهم المولى سبحانه من سني الأحوال وذلك

لثلاث فوائد؛ ليختار التقليد في دينه الفاضل دون المفضول والثانية نهوض الهمة لتحصيل بعض تلك المزايا التي منحوها بسبب اجتهادهم حسب ما جرت به العادة، الثالثة ما ينزل عند ذكرهم من الرحمة الإلهية فقد قال الإمامان الجليلان أبو حنيفة والشافعي رضي الله عنهما إن لم يكن العلماء أولياء الله فليس لله ولي، وقال الحسن البصري رضي الله عنه: عند العلماء تسرج الأزمنة فكل عالم مصباح زمانه يستضيء به أهل زمانه ولولا العلماء لصار الناس كالبهائم".[8]

وينتهي بقول المصنف: "انتهى النصف الأول بحمد الله وحسن عونه وتوفيقه الجميل، ويتلوه إن شاء الله في أول الجزء الثاني ذكر مشاهير الصوفية والسلام".[9]

اسم المخطوط ونسبته إلى مؤلفه

لا خلاف بين المؤرخين في اسم الكتاب وأول شاهد لذلك قول المؤلف بعد مقدمته: "وسميته أزهار البستان في طبقات الأعيان"،[10] ويعزز ذلك ما ورد عند ابن سودة [11] والكتاني[12] ورضا كحالة[13] والزركلي [14] كما يعرف اختصار باسم "طبقات ابن عجيبة"[15] أو "طبقات الفقهاء المالكية"[16]

وقد سماه صاحب شجرة النور الزكية، أزهار رياض الزمان في طبقات الأعيان. تفرد بذلك ولم يحل على مصدر معروف.[17]

ونسبة المخطوط ثابتة لابن عجيبة لتوافر الأدلة على ذلك، منها ما ورد في أول المخطوط: "يقول الفقير إلى رحمة مولاه الغني عما سواه أحمد بن محمد بن عجيبة وفقه الله وهداه". [18] ومنها ما ورد في مصنفاته الأخرى كفهرسته حيث ذكر تصانيفه إلى أن قال: ومنها "تأليف في طبقات الفقهاء وذكر أرباب المذاهب والتعريف بهم والتعريف بمشاهير أصحاب مالك ... ثم اتْبعتهم بذكر النحويين والمحدثين والصوفية، غير أن الصوفية لم يستكمل بعد". [19] وهو ذات الوصف الذي ينطبق على مخطوطنا هذا، بل ذكره بنصه في موضع آخر فقال: "ترجمَته في كتابنا أزهار البستان في طبقات الأعيان"، [20] بالإضافة إلى كون مترجموه نسبوه له كما أسلفت، بل ونقلوا منه. [21]

موضوع المخطوط

موضوع المخطوط فيظهر من خلال عنوانه "طبقات الأعيان" أي أنه كتاب في تراجم الأعلام المشاهير في فنون العلوم النقلية من فقه وتفسير وحديث ولغة، دون من اشتهر من أرباب العلوم العقلية، فقد قال مؤلفه واصفا مصنفه هذا: "وهذا مختصر بديع في طبقات مشاهير الأعيان القائمين بالشريعة في كل أوان ... من زمان الإمام مالك رضي الله عنه إلى زماننا هذا... ثم اتْبعت مشاهير الفقهاء بمشاهير النحويين واللغويين والبيانيين، ثم

مشاهير القراء والمفسرين ثم مشاهير المحدثين ثم مشاهير الصوفية الربانيين".[22]

فمشاهير الصوفية لا ذكر لهم في هذا الجزء حيث كان من المفترض أن يترجم لهم في الجزء الثاني كما وعد، فقد جاء في ختام المخطوط قول المصنف: "انتهى النصف الأول بحمد الله وحسن عونه وتوفيقه الجميل، ويتلوه إن شاء الله في أول الجزء الثاني ذكر مشاهير الصوفية والسلام".[23] وبهذا العبارة ينتهي المخطوط.

فتحت عنوان: ذكر أرباب المذاهب تحدث المصنف عن فضل الصحابة وعلمهم ثم ذكر حال التابعين في العلم ثم تابعيهم كأئمة المذاهب الفقهية المعروفة، ثم تتطرق إلى انتشار مذهب الإمام مالك في الحجاز ومصر الغرب الإسلامي وإفريقيا جنوب الصحراء والعراق في القرون الأربعة الأولى من ظهوره وانتقاله منه إلى خرسان سيما نيسابور وقزوين وأبهر، ثم تحدث عن انتشار المذاهب الأخرى في أقاليم معينة وانقراض بعضها. وأردف بذكر مناقب الأئمة الأربعة ووفياتهم رضي الله عنهم ورتبهم على القُدمة، ثم شرع في غرضه الأساس وهو ذكر مشاهير أصحاب الإمام مالك رضي الله عنه أي مشاهير الفقهاء بدءا من القرن الثاني الهجري حتى القرن 12 هـ وهو زمن المؤلف، ثم ترجم للغويين ثم المقرئين والمفسرين ثم المحدثين.

منهجه العام في المخطوط

مخطوط أزهار البستان يقوم أساسا على تراجم المشاهير في الحقول المعرفية المذكورة آنفا، بيد أن مفهوم الشهرة عند ابن عجيبة مفهوم غامض، وندرك ذالك من خلال إغفال فطاحل علم ما وإيراد من دونهم بكثير، فقد أغفل مثلا في مشاهير البيانيين مثلا صاحب البيان والتبيين أبو عمرو الجاحظ في المقابل ترجم لأبي المعالي محمد بن عبد الرحمن القزويني صاحب كتاب التلخيص.[24] وأغفل من مشاهير اللغويين ابن منظور صاحب "لسان العرب" وترجم بالمقابل للحريري صاحب "المقامات".[25]

ولم يترجم في طبقات القراء لأي من أعلام الغرب الإسلامي مع أن الأندلسيين كانوا من أحذق أهل الأرض في هذه الصنعة[26] وشفع لنفسه بأن أورد ترجمتي أبي عمرو الداني وابن نجاح في علماء الرسم القرآني.[27]

ولم يترجم في طبقات المحدثين من أهل الغرب الإسلامي قاطبة إلا لبقي بن مخلد القرطبي.[28] وأغفل تراجم ابن سعادة الإشبيلي وابن عبد البر وأبي العباس القرطبي والأصيلي وغيرهم أما عبد الحق الإشبيلي نزيل بجاية ودفينها (581هـ/1185م) الحافظ المحدث فقد ترجم له في طبقة الفقهاء[29] مع كونه بالحديث أعرف وبه يشتهر، وكان الأولى به ضمه إلى حلبة المحدثين وهو الأسلم والأقوم. وعلى هذا المنوال ترجم لشهاب الدين الخفاجي الحنفي في

طبقات المالكية لا لشيء إلا لكونه شرح كتاب الشفا للقاضي عياض المالكي وهو أشهر شراحه.[30]

وقد ترجم للفقهاء إلى غاية القرن 12 هـ/18م واقتصر على مشاهير القراء في القرن 3هـ/9م ومشاهير المفسرين في القرن 10 هـ/16م واقتصر على مشاهير النحويين حتى القرن 9هـ/15م.

وتقديمه للفقهاء ثم اللغويين على القراء والمفسرين والمحدثين منهج غريب، إذ العادة أن يُسبَّق القراء والمفسرون والمحدثون على غيرهم، وهو منهج أصحاب الأثبات والمشيخات والبرامج حين يوردون تراجم شيوخهم ومقرئاتهم.[31]

أما من حيث ترتيب تراجمه فقد حدد منهجه في خطبة المخطوط قائلا: "وهذا مختصر بديع في طبقات مشاهير الأعيان.. ذكرتهم في الغالب على ترتيب وجودهم ورتبتهم على حسب وفاتهم.. ومن لم أقف على تعيين وفاته ذكرته مع شيخه الذي أخذ عنه، ثم اتبعت مشاهير الفقهاء بمشاهير النحويين واللغويين والبيانيين، ثم مشاهير القراء والمفسرين ثم مشاهير المحدثين ثم مشاهير الصوفية الربانيين".[32]

أي أنه اختار لنفسه مسلكين:

المسلك الأول منها: يعتمد على ترتيبهم من حيث العلوم التي نبغوا فيها بدأ بالفقه ثم النحو فاللغة فالبيان، ثم القراءات

فالتفسير، ثم الحديث، ثم التصوف. وهذا الترتيب إلتزم به إلى حد بعيد.

المسلك الثاني: يعتمد في ترتيب مشاهير الفن الواحد من الفنون المذكورة على القُدمة والأسبقية من خلال معرفة وفياتهم، ومن لم يقف على وفاته منهم أدرجه عقب ترجمة شيخه الذي تتلمذ عليه، لكنه مسلك لم يلتزم به مطلقا، فقد يورد ترجمة علم من أعلام القرن الثامن وبعدها ترجمة علم من القرن الخامس وهكذا.[33]

ففي ترجمته لأعلام الجزائر مثلا قدم ترجمة كل من أبي زيد ابن الأمام التلمساني وشرف الدين الزواوي وجمال الدين المسيلي وابن قنفد القسنطيني وأبي عبد الله الصفار القسنطيني وأبي عبد الله المقري الجد على ترجمة ابن بمرزوق والد الخطيب أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن مروزق التلمساني (ت 740 هـ) وكلهم قد تأخرت وفياتهم عنه ما بين سنتي 743و759 هـ.

وقدم ترجمة مصطفى الرماصي الجزائري (ت 1160 هـ) على ترجمة محمد بن أحمد بن الكماد القسنطيني (ت 1116 هـ) وقدم ترجمة هذا الأخير على ترجمة محمد بن الحسن المجاصي المغراوي الجزائري الفاسي (ت1103 هـ).[34]

بنية الترجمة عند ابن عجيبة

سار ابن عجيبة على نفس طريقة أصحاب الطبقات والتراجم القدماء حيث تتشكل الترجمة عنده من عناصر أساسية وهي:

- ✓ اسم المترجم له وكنيته ونسبه. إلا أنه لا يطيل النفس في تتبع أصوله بل يقتصر على اسم والده وجده الأول والثاني ولا يتعداه إلى الجد الثالث إلا ما ندر، ثم يثني بذكر قبيلته إن علمها. ويردف باسم الشهرة إن وجدت.
- ✓ نسبته إلى مدينة أو قطر معين.
- ✓ تاريخ والدته.
- ✓ شيوخه وما قرأ عليهم وما يتعلق بذلك من رحلاته والعلوم التي نبغ فيها.
- ✓ مصنفاته.
- ✓ وفاته.

وهناك عناصر مكملة في الترجمة كـ:

- ✓ تحليته بالألقاب التشريفية
- ✓ ثناء العلماء عليه وأقوالهم فيه
- ✓ ذكر كرماته أو بعض مواقفه

- ✓ ذكر تلاميذه
- ✓ ذكر المناصب التي تولاها والوظائف التي شغلها

والملاحظ أنه لا يلتزم بترتيب تلك العناصر كما هي، بل تفرض عليه طبيعة المادة التي يحرر بها ترجماته والمصادر التي استقى منها ترتيبا آخر.

ويكاد ينقل الترجمة بنصها من مصادرها ولا يتدخل إلا في اختصار الأسانيد أو حذف جمل أو كلمات، وأحيانا يورد مسألة فقهية لا علاقة لها بالترجمة[35] أو قصيدة شعرية،[36] تكون أطول من الترجمة ذاتها.

وعلى العموم تمتاز تراجم ابن عجيبة بالتوسط الأقرب إلى الاختصار سواء تعلق الأمر بتراجم أعلام الجزائر أو غيرهم.

مصادره:

صرح ابن عجيبة بمصادره في القسم الأول من مخطوطه - وهو الخاص بتراجم الفقهاء- فقال: "هذا آخر ما جمعته من طبقات الأعيان معتمدا في سبيل ذلك على ديباج ابن فرحون وتكميل القرافي ودوحة الناشر وجذوة الاقتباس لابن القاضي وصفوة من انتشر وصلحاء القرن الحادي عشر للوفراني والنزهة للقادري وطبقات الشعراني".[37]

ومن خلال تتبعي لمصادره أجده قد اعتمد على ما ذكره هو؛ وعلى غير ذلك، فمن المصنفات البيوغرافية التراجمية: وفيات ابن قنفد القسنطيني (في أكثر من 14 موضعا) ومدارك القاضي عياض وتاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس لابن الفرضي والصلة لابن بشكوال وصلة الصلة لابن الزبير والمطرب لابن دحية والتكملة لابن الأبار والذيل والتكملة لابن عبد الملك والإحاطة للسان الدين ابن الخطيب ونفح الطيب للمقري ونيل الابتهاج للتنبكتي وطبقات النحويين للزبيدي، ومن المصنفات المشرقية اعتمد على وفيات ابن خلكان وفوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ومصنفات الذهبي وطبقات الشافعية للسبكي، والدرر الكامنة، وإنباء الغمر لابن الحجر والضوء اللامع للسخاوي وبغية الوعاة للسيوطي.

كما اعتمد على فهارس وبرامج العلماء كفهرس كل من ابن غازي والمنجور واليوسي والعياشي وعبد الرحمن الفاسي

أما الرحلات التي استفاد منها في إثراء مادة تراجمها فأهمها: رحلة العياشي، ورحلة ابن ناصر الدرعي ورحلة أبي العباس أحمد الأندلسي.

ومن كتب المناقب: مباحث الأنوار في أخبار بعض الأخيار لأبي العباس أحمد بن محمد بن يعقوب الولاتي، ومنظومة الهبطي في مناقب أبي عسكر الشريف وأصحابه، ومناقب أبي محمد صالح.

بالإضافات إلى مصنفات في فنون مختلفة من العلم كفوائد أبي زيد ؟ وعقد المقري؟ [38] ومحاضرات اليوسي ورسائله، وشرح تحفة ابن عاصم لميارة الفاسي وشرح المرشد المعين له أيضا، وشرح الحلبي على مناجات البرماوي، والدليل لابن أبي شامة، والمنهل الأصفى في شرح ألفاظ الشفاء لمحمد بن علي بن أبي الشريف التلمساني، وشرح البردة لابن مرزوق الحفيد.

وقد اعتمد أيضا على بعض الرويات الشفوية [39] والملاحظة والمعرفة المباشرة خصوصا حينما ترجم لشيوخه [40] الذين كان بهم لصيقا لأكثر من 28 سنة.

ومع كل ذلك لا يصرح بمصادره في أكثر التراجم، ويوهم في بعضها أنه ينقل من مصادر معينة ثم يتبين للمتتبع أنه إنما ينقل بالواسطة.

أعلام الجزائر من خلال طبقات ابن عجيبة

أورد ابن عجيبة في مخطوطه محل الدراسة عشرات التراجم لعلماء المغرب الأوسط/الجزائر على النحو الآتي:

		القرن	العالم	المدينة	تاريخ الوفاة	حجم الترجمة	مصادر الترجمة	المرجع
مشاهير الفقهاء	تراجم العصر الوسيط	ق4	أحمد بن نصر الداودي	تلمسان	2هـ	4 أسطر	لم يصرح	و 47
		ق7	إبراهيم بن ابي بكر المعروف بابن التلمساني	تلمسان	بعد 690	13 سطرا	ابن عبد الملك- وابن الزبير	و 89
			أبو العباس أحمد الغبريني	بجاية	704	3 سطرا	لم يصرح	و 91
		ق8	أبو علي منصور بن أحمد المشدالي المعروف بناصر الدين	بجاية	(731 هـ)	4 أسطر	ابن قنفد	و 96
			عبد الرحمن بن الأمام التلمساني.	تلمسان	(743 هـ /1342	6 أسطر	لم يصرح	و 102

			أبو زيد					
			عيسى [بن مسعود] بن منصور الزواوي	بجاية	743 هـ/1342	13 سطرا	لم يصرح	و 102
			عبد الله بن محمد المسيلي جمال الدين	مسيلة	744	4 أسطر	.لم يصرح	و 103
			الخطيب حسن بن علي [ابن قنفد]	قسنطينة	750هـ	3 أسطر	ابن قنفد	و 105
			أبو عبد الله الصفار	قسنطينة	750	2 سطرين	ابن قنفد	و 105
			محمد بن أحمد بن أبي بكر بن يحيى القرشي المقري أبو عبد	تلمسان	(759هـ/ 1357 م)	15 سطرا	التوشيح- والجذوة	و 106
			أحمد بن الحسن بن سعيد المديوني	تلمسان		2 سطرين	(بن مرزوق)	و 108
			أحمد بن محمد الشهير بابن مروزق الأكبر	تلمسان	(740 هـ)	17 سطرا	الإحاطة والديباج والجذوة	و 110

			أبو زيد عبد الرحمن الوغليسي	بجاية	(786 هـ)	2 سطرين	لم يصرح	و 111
		ق 9	عيسى بن يحيى [كذا] الغبريني أبو مهدي41	بجاية	815/3 هـ	7 أسطر	السخاوي وابن ناجي في شرح تهذيب البراذعي	و 115
			أحمد بن حسين بن علي القسنطيني المعروف بابن قنفد	قسنطينة	(810 هـ/ 1407 م)/	15 سطرا	الجذوة	و 115
			ابن الإمام التلمساني. محمد بن يحيى أو إبرهيم بن عبد الرحمن أبو الفضل بن أبي زكريا بن أبي محمد التلمساني	تلمسان	(حيا 812 هـ	4 أسطر	التوشيح والمقري في عقده	و 116
			محمد بن أحمد المعروف بالوانوغي	مسيلة	(819 /817	7 أسطر	أنباء الغمر	و 116

						ه)		
		محمد بن أحمد بن محمد، الشهير ابن مرزوق الحفيد	تلمسان	842 هـ / 1438 م)	9 أسطر	التوشيح	و 108
		محمد بن أبي القاسم المشدالي	بجاية	(866 هـ/1462 م	7 أسطر	التوشيح	و 120
		عبد الرحمن بن مخلوف الثعالبي	الجزائر	(875 هـ/ 1470 م)	6 أسطر	لم يصرح	و 123
		محمد بن قاسم الأنصاري التلمساني المعروف بالرصاع	تلمسان	(894 هـ / 1489	7 أسطر	لم يصرح	و 124
		محمد بن يوسف السنوسي	تلمسان	(895 هـ/ 1490 م)	39 سطرا	لم يصرح	و 125
		أحمد بن زكري التلمساني	تلمسان	(899 هـ / 1493	21 سطرا	الدوحة	و 129

			م					
		ق10	أحمد بن يحي الونشريسي	تلمسان	(914 هـ / 1508 م	9 أسطر	الدوحة والجذوة	و 131
			أبو عبد الله محمد بن عبد الكبير [كذا]42 المغلي	تلمسان	(909 هـ / 1503	26 سطرا	الدوحة	و 133
			أبو الحسن علي بن هارون المطغري	تلمسان	951 هـ	12 سطرا	لم يصرح	و 133 مكرر
			عبد الواحد بن أحمد الونشريسي	تلمسان	955 هـ	22 سطرا	الدوحة	و 134 مكرر
	العصر الحديث	ق10	محمد بن عبد الرحمن بن جلال التلمساني	تلمسان	981 هـ	4 أسطر	لم يصرح	و 141
		ق11	أبو عثمان سعيد بن أحمد المقري	تلمسان	1010هـ	7 أسطر	لم يصرح	و 153
			أبو العباس أحمد بن محمد المقري	تلمسان	1041هـ) /	33 سطرا	رحلة العياشي	و 161
			أبو الطيب الحسن بن يوسف الزياني	تلمسان	1023 هـ	8 أسطر	مرآة المحاسن.	و 163

			العبد الوادي					
			أبو فارس عبد العزيز بن أبي الطيب الزياني العبد الوادي	تلمسان	1055هـ	2 سطرين	لم يصرح	و 164
			أبو عثمان سعيد بن إبراهيم المعروف بقدورة الجزائري	الجزائر	1036 هـ	5 أسطر	لم يصرح	و 173
			عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الفكون	قسنطينة	1073هـ	12 سطرا	نفح الطيب	و 176
		ق12	مصطفى الرماصي	الجزائر	1160 هـ	9 أسطر	لم يصرح	و 191
			محمد بن أحمد القسنطيني المعروف بابن الكماد	قسنطينة	1116 هـ	26 سطرا	لم يصرح	و 201
			محمد بن الحسن المجاصي المغراوي	الجزائر	1103 هـ	10 أسطر	لم يصرح	و 211
مشاهير	العصر	ق9	أحمد بن محمد المعروف بالشمني	قسنطينة	871 هـ	13	السيوطي	و 243

			القسنطيني			سطرا	؟	
		ق 8	محمد بن عمر بن محمد بن خميس التلمساني	تلمسان	708 هـ/1309 م	5 أسطر	الإحاطة	و 246
مشاهير الفقهاء الوافدين		ق6	عبد الحق بن عبد الرحمن الإشبيلي - نزيل بجاية	/	581هـ	8 سطرا	ابن قنفد	و 72
		ق10	محمد بن علي الخروبي الطرابلسي الجزائري	/	963 هـ	16 سطرا	الجذوة	و 138

لقد ترجم ابن عجيبة إذن لـ 38 فقيها مالكيا من فقهاء المغرب الأوسط/الجزائر موزعة على 7قرون، إبتداء من القرن الرابع 4 هـ/ 10م، إلى غاية القرن الثاني عشر 12هـ/18م زمن المؤلف.

كما ترجمن لشخصيتين من مشاهير النحاة، وشخصيتين فقهيتين من الفقهاء الذي استقروا نهائيا في المغرب الأوسط/الجزائر.

حيث ترجم ابن عجيبة لـ 10 شخصيات علمية لكل من القرن الثامن والتاسع/ 14-15م، وترجم لشخصية واحدة بالنسبة

للقرن الرابع، ولشخصيتين بالنسبة للقرن السابع، ولـ 5 شخصيات بالنسبة للقرن العاشر ولـ 6 بالنسبة للقرن الحادي عشر/ 17م، وترجم لـ 3 شخصيات بالنسبة للقرن الثاني عشر/ 18م.

عدا القرنين 5هـ/11م و 6هـ/12م، فلم يترجم لأي شخصية علمية جزائرية.

أي بمجموع 41 ترجمة، وهذا رقم رغم ضآلته بالنسبة لمجموع تراجم المخطوط إلا أنه رقم معتبر إذا ما قارناه بعدد تراجم الغبريني في عنوان الدراية حيث شمل نحو 46 ترجمة لشخصيات جزائرية من أصل 108 ترجمة، أو إذا قارناه بتراجم وفيات ابن قنفد حيث ترجم لـ 30 علما من أعلام المغرب الأوسط/الجزائر من أصل نحو 561 ترجمة تضمنها مؤله المذكور.

ومن حيث نسبتهم إلى مواطنهم فالتراجم موزعة على النحو الآتي:

المدينة	العدد
تلمسان	20
بجاية	6
قسنطينة	6
الجزائر	4
مسيلة	2
بسكرة	1
الوافدون	2
المجموع	41

حضور مكثف إذن في القرنين الثامن والتاسع/ 14-15م، حيث ازدهرت العلوم في كل من تلمسان وبجاية خصوصا الدراسات الفقهية منها، بل أصبحت تلمسان مركز ثقل المدرسة المالكية في القرن 9هـ/15م على حساب فاس وتونس وغرناطة.[43]

والجدير بالذكر أن المؤلف تجاوز شخصيات علمية بلغت رتبة الاجتهاد في المذهب المالكي ومع ذلك تم إقصائهم من الذاكر "العجيبية" ربما عن غير قصد، ويتعلق الأمر هنا بسعيد العقباني (ت 811هـ) وابنه قاسم العقباني (ت 854هـ)[44] وهما من أئمة المذهب وأركانه كما تجاوز الشريف التلمساني(ت 771 هـ) وهو سمهما في رتبة الاجتهاد.[45]

وإذا كان إغفاله لتراجم علماء المغرب الأوسط/الجزائر في القرن 5 هـ مبررا إلى حد ما، فإنه غير مبرر بالنسبة للقرن 6 هـ. حيث برز فقهاء القلعة وبجاية كابن الرمامة القلعي. (479-567 هـ/ 1086- 1172) وغيره.

وعدم ترجمته لأي شخصية في علم اللغة والبيان والقراءات والتفسير والحديث تجاوز منه واضح كأن البلاد قد اقفرت منهم حقا، فقد يعذر في عدم ترجمته لمشاهير القراء من المغرب الأوسط كأبي القاسم الهذلي البسكري. (403- 465 هـ/ 1012- 1073 م).[46] وأبي بكر الردائي القلعي المقرىء (حيا 525 هـ) [47] لأنه اقتصر على تراجم أصحاب القراءات العشر وتلاميذهم فقط.[48]

لكن لا يعذر فيما سواها، فما كان له أن يغفل مشاهير مفسرينا كهود بن محكم الهواري الأوراسي الإباضي (ق: 3هـ / 9م).[49] وإن كان على غير مذهبه، وأبي بكر علي بن عبد الله بن المبارك الوهراني(615 هـ / 1219 م)، [50] ومحمد بن يحيى الباهلي البجائي المعرف بابن المسفر (743 هـ) وتقي الدين الشمني وعبد الرحمن الثعالبي وأبي يحيى الشريف التلمساني (ت 826 هـ) "آخر المفسرين" كما وصفه التنبكتي

وما كان له أيضا أن يغفل مشاهير المحدثين أمثال: أبي الفضل التاهرتي البزاز (395 هـ) شيخ ابن عبد البر [51] وابن حماد الصنهاجي القلعي (7- 628 هـ / 1231 م) .[52] و ابن يومن الزواوي (734) .[53] وأبي علي حسن بن أبي القاسم بن باديس القسنطيني (ت787هـ/1385م) [54] و يحيى بن العباس القسنطيني (بعد 649 هـ) [55] وأبي عبد الله المتيجي (ت 659 هـ) [56] وابن الامام الجزائري.(666 هـ)[57] وجمال الدين أبو محمد الجزائري (682 هـ) .[58]

وإذا ترجم في مشاهير النحويين لعلمين من أعلام الجزائريين وهما الشمني القسنطيني وابن خميس التلمساني ، فإن هذا الأخير ليس بأولى من محمد بن عبد الله الزناتي التلمساني الشهير بحافي رأسه (ت 680هـ) .وقد قال عنه الصفدي: "هو أحد النحاة الثلاثة المحمدين في عصر واحد هو في الاسكندرية وابن النحاس في مصر وابن مالك في دمشق"، [59] كما أنه ليس بأولى من ابن معطي الزواوي

(628 هـ / 1231 م).[60] فابن خميس بالشعر والأدب أشهر منه في بالنحو واللغة

نماذج من تراجم المخطوط:

ذكرنا أن تراجم ابن عجيبة تتسم عموما بالاختصار، لكنها بين الإفراط في الاختصار والبسط والتوسط، وهذا يتفاوت من ترجمة إلى أخرى حسب قيمة المترجم له، والمادة التراجمية المتوفرة حوله. وهذه نماذج لتراجم ثلاثة من أعلام المغرب الأوسط

نموذج الترجمة المختصرة جدا (أبو العباس أحمد الغبريني)

أبو العباس أحمد الغبريني بكسر الغين صاحب عنوان الدراية الإمام الأوحد المفتي المتفنن المدرس الخطيب قاضي الجماعة ببجاية، وهذا غير شيخ ابن ناجي الآتي توفي رحمه الله سنة أربع من القرن الثامن.[61]

نموذج الترجمة المتوسطة: (عيسى بن منصور الزواوي)

عيسى بن منصور الزواوي المالكي كان فقيهاً عالماً متفنناً في العلوم تفقه ببجاية على أبي يوسف يعقوب الزواوي وقدم الإسكندرية وتفقه بها ثم رحل إلى المشرق واستقر بمصر يقرئ الناس بالجامع الأزهر في جميع العلم وسمع الكتب الستة– قديماً،

وحدث عن الدمياطي، وولي نيابة القضاء بدمشق نحو سنتين ثم رجع إلى مصر فولي بها القضاء ثم ولي التدريس، وأقبل على التصنيف فشرح صحيح مسلم إثني عشر مجلداً و سماه: إكمال الإكمال جمع فيه أقوال المازري وعياض والنووي وأتى فيه بفوائد جليلة من كلام ابن عبد البر والباجي وغيرهما وشرح مختصر ابن الحاجب الفقهي. واختصر جامع ابن يونس وشرح المدونة وألف في والمناسك والوثائق وفي علم المناسخة، وألف مناقب مالك وألف تاريخاً في نحو عشر مجلدات بيض منه نصفه ذكر من أول بدء الدنيا وقصص الأنبياء وأخبار الأمم من آدم إلى زمانه.

وكانت له اليد الطولى في علم الفقه والأصول والعربية والفرائض، وكان يحكى أنه حفظ مختصر ابن الحاجب في الفروع في مدة ثلاثة أشهر وعرضه، وحفظ موطأ مالك وعرضها، توفي رحمه الله سنة ثلاث وأربعين من القرن الثامن. [62]

نموذج الترجمة المطولة (ترجمة محمد بن يوسف السنوسي)

الشيخ الصالح الولي الناصح العالم أبو عبد الله سيدي محمد بن يوسف السنوسي الحسني، كان رضي الله عنه ممن جدد الله به لهذه الأمة أمر دينها على رأس المائة التاسعة كما أخبر الصادق صلى الله عليه وسلم، أخذ طريق الولاية عن الولي الكبير سيدي إبراهيم التازي ثم الوهراني وأخذ علم الكلام عن الفقيه

العالم الرحال الآبلي [كذا] –بفتح الهمزة وضم الباء الموحدة-[63] وهو أول من أدخل علم الكلام إلى المغرب بعد الأزمنة المتأخرة، وأخذ الفقه عن ابن مرزوق شارح البردة وأبي عبد الله بن العباس شارح لامية ابن مالك والشيخ أبي العباس أحمد بن زاغ [64] والشيخ أبي عثمان[كذا] [65] قاسم العقباني والشيخ أبي عبد الله محمد بن شقرون، وكان من أكابر الأولياء وأعلام العلماء، وتآليفه تدل على تحقيقه وغزارة علمه، وعقائده الخمس وشروحها من أفضل ما ألف في الإسلام وهي: المقدمة الوسطى والكبرى والصغرى وصغرى الصغرى والمقدمة المعلومة، وشرح قصيدة الجزائري وشرح قصيدة الحوضي وهو من تلاميذه، وصنف مكمل إكمال الإكمال في شرح مسلم، وناهيك بتنوير كلامه وإتقان عباراته حتى لا يجد المتعسف مدخلا للتعقب بوجه ولا بحال، واتفق الأولياء والعلماء على فضله وتلقوا تآليفه بالقبول، وكان الشيخ أبو عمران موسى بن العقدة الأغصاوي إذا ذكر عنده علم الكلام يقول: ما رأينا من غربل هذا العلم مثل هذا الرجل يعني السنوسي، وكان الشيخ سيدي عبد الله الهبطي يقول: كلام السنوسي محفوظ من السقاطات، وقد كان الشيخ أبو محمد عبد الله الورياجلي نذر على نفسه ألا تفارقه عقيدة السنوسي الصغرى وأنه جعلها في جيبه على جلالة قدرة، قلت وسيأتي ذكره إن شاء الله، وقد حدث الثقات عن بعض الأولياء أنه رأى والد الشيخ السنوسي بعد موته في النوم فقيل له ما فعل الله بك، فقال: غفر لي، فقيل: ولما، قال بتفكر ولدي في

الجبل ساعة دفني فلما سئل الشيخ عن ذلك قال: نعم كنت أتفكر في الجبل الذي كان أمامي وهو المطل على تلمسان وكم فيه من جواهر وكيف ركبه الحكيم بقدرته وحكمته. ا.هـ من الدوحة،

فائدة: روى أن رجلا كان عليه دين فقبضه رب الدين فلجأ إلى الصلاة علي النبي صلى الله عليه وسلم بعضا من الأيام فرأى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له: سر إلى السنوسي، يعطيك مائة دينار والأمارة أنه كان كل يوم يُصَلِّي عَلَيَّ مائة ألف مرة، فانطلق المديان فقال له: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم، فقال لي قل للسنوسي كذا وكذا، فقال له السنوسي: أعد علي فقال له: قال كذا وكذا، فقال له: كيف؟ أعد علي؛ فأخذ يستفهمه حتى أعاد عليه عشر مرات، فأعطاه السنوسي مائة ألف أوقية لكل كلمة وقال له لو أعدتها علي أكثر لأعطيتك أكثر، فقال له السائل يا سيدي كيف يمكنك أن تصلي هذا العدد كل ليلة، فقال له كنت نصلي [كذا] مائة مرة بالصلاة الألفية فتلك مائة ألف وهي هذه: "اللهم صل على سيدنا ونبينا ومولانا محمد سيد الأولين والآخرين وقائد الغر المُحجَّلينَ، السيد الكامل الفاتح الخاتم الحبيب الشفيع الرؤوف الرحيم الصادق الأمين السابِق للخلق نوره، ورحمة للعاملين ظهوره عدد من مضى من خلقك، ومن بقي ومن سعد منهم ومن شقي، صلاة تستغرق العد وتحيط بالحد، صلاة لا غاية لها ولا منتهى ولا أمد لها ولا انقضاء صلاتك التي صليت عليه، صلاة دائمة بدوامك، باقية ببقائك إلى يوم الدين، وعلى آله وصحبه

وأولاده وأزواجه وذرياته وأهل بيته وأصهاره وأنصاره وأشياعه وسلم مثل ذلك والحمد لله على ذلك كثل ذلك، وَأجْرِ يا مولاي لطفك في أموري وأمور المسلمين" ا.هـ، رواه أبو شامة الفاسي عن الشيخ السنوسي، توفي الشيخ رضي الله عنه سنة خمس وتسعين من القرن التاسع.[66]

خاتمة.

إن المخطوط له قيمة تاريخية تستدعي الاهتمام به بالنشر والتحقيق لما يحمله بين طيات تراجمه من مخزون علمي وثقافي لبلاد المغرب أو المدرسة المالكية عموما من جهة، ولإبرازه لدور أعلام المغرب الأوسط/الجزائر في رسم صورة ذلك الفضاء الثقافي الذي لا يستطيع أن ينفصم عنهم من جهة ثانية.

الهوامش:

[1] حققه أحمد المودن كأطروحة الدكتوراه بكلية الآداب والعلوم الإنسانية تطوان: 2006

[2] حققه عبد القادر الخراز كأطروحة الدكتوراه بكلية الآداب والعلوم الإنسانية تطوان: 2005

[3] ترجمته في الفهرسة لابن عجيبة، نشرة عبد الحميد صالح حمدان، دار الغد العربي، القاهرة، 11990، ص 16-102، مخلوف، شجرة النور الزكية، بيروت، دار الفكر، 400/1 (وفيه أنه فاسي توفي 1266 وهو وهم)، الكتاني. فهرس الفهارس، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 2، 854/2، الزركلي. الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط 15، 2002. 245/1

[4] عبد السلام بن سودة. دليل مؤرخ المغرب الأقصى، دار الفكر، بيروت، ط 1، 1997، ص 166.

[5] ورقة 79، 161، 214، 232،

[6] ورقة 14، 18، 53، 227، 241، 243

[7] ورقة 247

[8] الورقة 1

[9] الورقة 282

[10] الورقة 2

[11] عبد السلام بنسودة. دليل مؤرخ المغرب الأقصى. 166، إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع، نشره محمد حجي،دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1،1997، 104/1

[12] الكتاني. فهرس الفهارس، 1111/2،

[13] معجم المؤلفين، مكتبة المثنى - دار إحياء التراث العربي، بيروت، 163/2

[14] الأعلام، ، 245/1

[15] الكتاني. في فهرس الفهارس، 342/1، 344، 596/2، 602، 1111،

[16] الكتاني. في فهرس الفهارس، 854/2

[17] محمد مخلوف، 400/1

[18] الورقة 1

[19] ابن عجيبة. الفهرسة، ص38.

[20] ابن عجيبة. الفهرسة، ص30.

[21] الكتاني. فهرس الفهارس، 342/1، 344، 596/2، 602، 1111،

[22] الورقة 1

[23] الورقة 282

[24] الورقة 253

[25] الورقة 251

[26] يراجع في ذلك على سبيل التمثل كتابا: معرفة القراء الكبار للذهبي وغاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري المخصصان لتراجم القراء حتى بداية القرن 9هـ .

[27] ورقة 262

[28] ورقة 277

[29] ورقة 72

[30] الورقة 174-175.

[31] أنظر مثلا: برنامج الحافظ محمد بن عبد الرحمن التجيبي المرسي، حقيق الحسن إدسعيد، منشورات وزارة الأوقاف المغربية، الرباط، 2011، وفهرسة المنتوري، تحقيق محمد بنشريفة، منشورات الرابطة المحمدية للعلماء، الرباط، ط1، 2012.

[32] ورقة 1

[33] ترجم لابن النحاس المصري (ت 698هـ) وبعده ابن كيسان (ت 320هـ) وبعده ابن مالك الجياني (ت 672هـ)، وترجم للفيروز آبادي (ت 810هـ) وبعده الجوهري (ت 390هـ) وبعده ثعلب (ت291هـ)

كما ترجم لأثير الدين أبي حيان الغرناطي (ت 749هـ) ثم لابن أبي الربيع المالقي (ت 490هـ) ثم لأبي العلاء المعري (ت 449هـ)، أنظر الورقة: 240-242، 248-249

[34] الورقة 191، 201، 211.

[35] ورقة 139-140

[36] ورقة 185-188

[37] ورقة 2

[38] ربما يشير إلى عقد الجمان في مختصر أخبار الزمان، وهو مخطوط لمحمد بن علي الصقلي البرجي الأندلسي الشهير بالحاج الشطيبي (ت963 هـ)، لكن ينسب خطأ في بعض فهارس المخطوطات للمقري.

[39] ورقة 192

[40] ورقة 255 وما بعدها

[41] صوابه: عيسى بن أحمد بن محمد الغبريني

[42] صوابه محمد بن عبد الكريم

[43] راجع بخصوص ذلك: محمد بن معمر. **المدرسة المالكية في حاضرة تلمسان حتى منتصف ق 7 هـ**، مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية- جامعة الجزائر، عدد 1، 2004، ص 200-217.

[44] القلصادي. **رحلة**، دراسة وتحقيق محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس ، 1978. ص 106، التنبكتي. **النيل الابتهاج بتطريز الديباج** ، تحقيق علي عمر، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 2004، 1/12-13.

[45] المقري. **أزهار الرياض** في أخبار القاضي عياض، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي المغرب- الإمارات العربية، 1978، 3/25.

[46] الذهبي. معرفة القراء الكبار ، تحقيق بشار عواد معروف وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1984. 1/429- 433.

1/429- 433.

[47] الذهبي. معرفة القراء الكبار، 1/ 454

[48] الورقة 254-261

[49] الدرجيني، الطبقات، 345، 398، 399

[50] الذهبي. تاريخ الإسلام، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، بيروت، دار الكتاب العربي، ط 2،، 1993. 44/277.

[51] ابن بشكوال. الصلة، تحقيق العطار، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3 ، 1984رقم 182

[52] عنوان الدراية، تحقيق رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1971. ص 192.

[53] الصفدي. أعيان العصر **وأعوان النصر**، تحقيق علي أبو زيد وآخرين، دار الفكر- دار الفكر المعاصر، دمشق- بيروت، ط1، 1998. 735/2 .

[54] ابن قنفد. الوفيات، تحقيق عادل نويهض، دار الأفاق الجديدة، بيروت، ط 4، 1983. ص 377

[55] الذهبي. تاريخ الإسلام 466/47، ابن الزبير. صلة الصلة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ص 421.

[56] الذهبي. تاريخ الإسلام 395/48 .

[57] تقي الدين الفاسي. ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد 322/1، ابن رشيد. ملء العيبة 469/3

[58] الذهبي. المعجم المختص، بيروت، دار الفكر 131،

[59] الصفدي، الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2000

[60] الذهبي. سير أعلام النبلاء، تحقيق الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1، 1985، 324/22، السيوطي. بغية الوعاة **في طبقات اللغويين والنحاة** ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، بيروت، ط 1979،2،2/334

[61] ورقة 91

[62] ورقة 102، وقارن بترجمته في الديباج الكذهب لابن فرحون.

[63] صوابه الأيلي كما في في دوحة الناشر، لابن عسكر الشفشاوني، تحقيق محمد حجي، دار المغرب، الرباط، ط2، 1977، ص 122، أما الآبلي فهو شيخ ابن خلدون توفي سنة 757 هـ، في حين ولد السنوسي سنة 832 هـ،

[64] ابن زاغ أو ابن زاغو رسمان صحيحان.

[65] كذا في دوحة الناشر، ص 122، والمعروف أن أبا عثمان كنية سعيد العقباني والد قاسم المذكور وكنية هذا الأخير أبو الفضل.

[66] ورقة 125